٦ ـ تاريخ العرب الأدبي

للأستاذ رينولد نيكلسون

ترجمة حسن مبشي

الفصل الأول

وهكذا نجد بين التبابعة ملكة سبأ التي ذكرت مخاطراتها مع سليمان في السورة السابعة والعشرين من القرآن ، وبالرغم من أن محمداً (ص) نفسه لم يشر إلى اسمها أو نسبها فان المفسرين اعتبروها بلقيس ابنة شراحيل (أو شرحبيل)

أما البطل الوطني الذي ورد ذكره في أسطورة عرب الجنوب فهو « تبع أسعد كامل » أو كما يسمى أحياناً « أبو كرب » الذي ما زالت ذكراه حتى اليوم — كما يقول فون كريمر — حية باقية ، وما زالت روحه تكثر من الترداد على خرائب قصره في ظفار « وما من أحد يطالع قصيدة مخاطراته أو النصائح التي وجهها إلى ابنه حسان وهو مسجى على فراش الموت إلا اعتقد مضطرا أنه أمام شعر قصصي أصيل مستمد من الخرافات العربية الجنوبية التي ترجع أوليتها دون شك إلى عصر قديم جداً [1] » وهأنذا أقدم للقارئ بعضاً من القصيدة التي يمكن تسميتها بقصيدة « الساحرات الثلاث [2] »

الدهر يأتيك بالعجائب والأيا ... مُ والدهر فيه معتبر
بينا ترى الشمل فيه مجتمعا ... فرقه في صروفه القدر
لا ينفع المرء فيه حيلته ... فيما سيلقاه لا ولا الحذر
إني زعيم بقصة (عجب) ... عندي لمن يستزيدها الخبر

* * *

يكون في الأسد مرة رجل ... ثم له في ملوكه الخطر
مولده في قرى ظاهر م ... دان بتلك التي اسمها حمر
يقهر أصحابه على حدث السـ ... ـن ويحقرهم فيحتقر
حتى إذا مكنته صولته ... وليس يدري ما شأنه البشر
أصبح في هيوم[1] على وجل ... وأهله غافلون ما شعروا
رأوا غلاماً بالأمس عندهم ... أزرى لديهم بجهله الصغر
لا يفقدوه لا در درهم ... لو علموا العلم فيه لافتخروا
حتى إذا أدركته روعته ... بين ثلاث وثلاثة (!) حجروا
جاءت إليه الكبرى بأسقية ... شتى وفي بعضها دم كدر
فقال هاتي إليَّ أشربها ... قالت له : ذر فقال لا أذر
فناولته فما تورع عن ... أقضاه حتى أماده السكر
فنهنهته الوسطى فنازلها ... كأنه الليث هاجه الذعر
قالت له هذه مراكبنا ... فاركب فشر المركب الحمر
فقال « حقاً صدقت » ثم سما ... فوق ضبيع قد زانه الضمر
فدق منه جنباً فغادره ... فيه جراح منها به أثر
ثم أتته الصغرى تمرّنه ... فوق الحشايا ودمعه درر
فمال عنها بمضجع ضنجر ... ولا تساوى الوطاء والزعر
كان إذ ذاك بعد صرعته ... من شدة الجهل[2] تحته الابر
قلن له لما رأين جرأته ... أسعدُ أنت الذي لك الظفر
في كل ما وجهة يوجهها ... وأنت يشفى بحربك البشر
وأنت للسيف والسنان وفي ... الأبدان تبدو كأنها الشمر
وإنّ أنت المهريق كلّ دم ... إذا ترامى (بشخصك) السفر

---

(١) ص ٢ من مقدمة فون كريمر لكتابه Die Südorabische Sage

(٢) وقد ترجمها نثراً فون كريمر في كتابه السابق (ص ٧٨ وما يليها) أما النص العربي الذي طبعه بعد ذلك في Altarabische Oedichte ueber die Volkssage von Jemen, p. 18 فكثير الخطأ في بعض المواضع ، وقد انبعث ترجمته إلا حينما ألس الخطأ الجسيم الفاحش ، وليس من الصعب على القارىء أن يعتقد أن القصد من هذه القصيدة أن يلقيها الساهر الجوال على أسماع السمار ليلا ، وربما كانت من وضع أحد هؤلاء القصاصين المحترفين الذين كثر وجودهم في القرن الأول للهجرة كعبيد بن شرية أو يزيد بن ربيعة ابن مفرغ (٦٨٨ م) الذي يقال إنه وضع القصائد والقصص المنسوبة الملوك حمير (الأغاني ج ٧ ص ٥٢)

(١) قرأها نيكلسون هنوم ، وقرأها فون كريمر « أهنوم » بدلا من هيوم ، ولكن انظر كتاب جزيرة العرب للهمداني ص ١٩٣ السطر الأخير

(٢) هكذا في نسخة فون كريمر فقال في ترجمته :

Under lag so nach seinem Sturze
Aus grosser Unwissenheit, als wöre er auf Nadeln gaeltet

أما نيكلسون فقد قرأها « الجهد » بدلا من « الجهل » فقال :

And nimthought, in anguish Lying there,
That needles underneath him were

(المترجم)

فارشد ولا تستكن فى (حمر) ... ورد ظفارا فأنها الظفر
فلست تلتذ عيشة أبداً ... وللأعادى عين ولا أثر
نحن من الجن يا أبا كرب ... يا تبعّ الخير هاجنا (الدعر)
فما بلوناه فيك من تلف ... عن عمد عين وأنت مصطبر
ثم أتى أهله فأخبرهم ... بكل ما قد رأى فما اعتبروا
فسارعتهم من بعد تاسعة ... إلى ظفار وشأنه (الفكر)
فحلّ فيها والدهر يرفده ... فى عظم شأن وهو يشتمر [1]
إنا وجدنا هذا يكون مما ... فى علمنا والمليك مقتدر
فالحمد لله والبقاء له ... كل إلى ذى الجلال مفتقر

وتجعل هذه القصيدة أسعد بطل حملة عظيمة إلى فارس حيث نازل القائد الذى أرسله اليه أحد ملوك العراق وقهره ثم انطلق إلى بحر قزوين ، وفى طريق عودته اخترق الحجاز وإذ ذاك علم أن ابنه الذى خلّفه فى المدينة قد قتل غيلة ، فأقسم أن يكون ثأره من أهل تلك البلدة شديداً « وبينما كان تبع منهمكا فى إعداد الغارة عليهم ، وفد عليه حبران يهوديان من قريظة يتفجّر العلم منهما ، فلما علما بعزمه قالا له : « أيها الملك لا تفعل فأنك إن أبيْت إلا ما تريد حيل بينك وبينها ولم نأمن عليك عاجل العقوبة » فقال لهما : « ولم ذلك ؟ » فقالا : « هى مهاجر نبى يخرج من هذا الحرم من قريش فى آخر الزمان تكون داره وقراره » فتناهى عن ذلك ، ورأى أن لهما علماً وأعجبه ما سمع منهما فانصرف عن المدينة واتبعهما على دينهما [2] » ... وكان تبع وقومه أصحاب أوثان يعبدونها فتوجّه إلى مكة وهى فى طريقه إلى اليمن ، ثم أتاه نفر من هذيل فقالوا له : « أيها الملك ، ألا ندلك على بيت مال دائر أغفلته الملوك قبلك فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ » قال : « بلى » فقالوا : « أرسل إلى الحبرين » فأرسل اليهما وأخبرهما بما حدثه به الهذليون فقالا له : « ما أراد القوم إلا هلاكك وهلاك جندك . ما نعلم بيتاً لله اتخذه فى الأرض لنفسه غيره ، ولئن فعلت ما دعوك اليه لتهلكنّ وليهلكنّ من معك » فسألهما ما يصنع إذا قدم عليه فأشارا عليه بأن يصنع مايصنع أهله « تطوف به وتعظمه وتكرمه وتحلق رأسك عنده وتذلل له » فقال : « فما يمنعكما أنتما من ذلك ؟ ... » قالا : « أما والله إنه لبيت ابراهيم ، وإنه لكما أخبرناك ولكن أهله حالوا بيننا وبينه بالأوثان التى نصبوها حوله وبالدماء التى يهريقون عنده وهم نجس أهل شرك » فامتثل أمرهما وقرب النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم ثم مضى حتى قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بمكة ستة أيام فيما يذكرون ينحر بها للناس ويطعم أهلها ويسقيهم العسل [1] ثم لما دنا تبع من اليمن ليدخلها حالت حمير بينه وبين ذلك وقالوا « لا تدخلها علينا وقد فارقت ديننا » فدعاهم إلى دينه ، وقال : « إنه خير من دينكم » فقالوا : « فاحاكمنا إلى النار » قال : « نعم »

وكان باليمن فيما يزعم أهل اليمن نار تحكم بينهم فيما يختلفون فيه ، تنفر تأكل الظالم ولا تضر المظلوم ، فخرج قوم بأوثانهم وما يتقربون به فى دينهم ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما متقلديها حتى قعدا للنار عند مخرجها الذى تخرج منه فخرجت النار إليهم ، فلما أقبلت نحوهم حادوا عنها وهابوها فذعرهم من حضرهم من الناس وأمروهم بالصبر لها فصبروا حتى غشيتهم فأكلت الأوثان وما قربوا معها ومن حمل ذلك من رجال حمير ، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما تعرق جباههما لم تضرهما فأصبحت عند ذلك حمير على دينه . فمن هنالك كان أصل اليهودية باليمن [2]

(يتبع)

(١) حذف الأستاذ نيكلسون من ترجمته بعد هذا البيت ستة أبيات تتضمن قصة امرأة جاءت تشكو ظلامتها فانتصر لها ، وإتماماً للفائدة الأدبية نذكر هذه الأبيات :

حتى أتته من المدينة تش ... كو الظلم شمطاء قومها غدروا
(أدت) إليه منهم ظلامتها ... ترجو به ثارها وتنتصر
فأعمل الرأى فى الذى طلبت (فكان) كل بناك يأتمر
فبأ الجيش ثم سار به ... مثل الدبا فى البلاد ينتشر
قد ملأ الخافقين عسكره ... كأنه الليل حين يعتكر
تعم أعداءه كتائبه ... وليس يبقى فيهم ولا يذر
حتى أتى منهم الغاية ... وفاز بالنصر ثم ينتصر

(المترجم)

(٢) ابن هشام ص ١٣ س ١٤ وما يليه

(١) ابن هشام ص ١٥ س ١ وما يليه
(٢) ابن هشام ص ١٧ س ٢ وما يليه